تُرك مطموراً، مخفيًا، هذا ما يراه عم صديق النوبى أخلص من عملوا مع المؤسس وعرفوه عن قرب. ثمة تعويذة معينة يصعب فك مغاليقها احتواها المركب، حمت الأرض وطرحت الخير فى زرعها وحيواناتها، لم يكن ممكنًا مقارنتها بأى منطقة أخرى، لو بقت لطال سرها المؤسسة، ولما جرى ما كدَّر مسيرتها ولحق بالمؤسس.. بل والجواهرى نفسه.

لن ينسى أبدًا وجوه الفلاحين العاملين فى تمهيدها وزراعتها منذ عصور بعيدة، وقفوا يذرفون دمعًا صامتًا عند استخراج الخشب القديم، ولحظة نقله إلى عربة معدة مجهَّزة، ذرف الرجال دمعًا. وأطلقت النساء أصواتًا ممدودة غامضة، مصدرها الحناجر والصدور؟

لا أحد يدرى.. لكنها بدت نذير شؤم، مثل هذا لم يحدث على امتداد الوادى إلا مرة واحدة فى نهاية القرن الماضى، أثناء نقل خبيئة وادى الملوك - موميـاءات الفراعنة الأقدمين - من مراقدها إلى السفن النهرية لعرضها على الخلق فى المتحف.. يومها انتظم أهالى طيبة فى صفوف جنائزية طويلة، خرجوا مودعين دامعين ينشدون المراثى وكأنهم يودعون أحبابًا أعزة على قلوبهم رحلوا للتو وليس من آلاف السنين!

سمع الجواهرى بأذنيه عجوزاً يقول محذراً لحظة اكتمال ظهور القارب: إن زمن الخير انتهى، ارتفع نشيج، لم يدر الغرباء العاملون فى تجريف الأرض، أو إعدادها للبناء، هل ينوح القوم حقًا على الأخشاب العتيقة أو على التربة الخصبة التى تجرد من طميها وخصبها ولن تنبت عيدانًا خضراء، أم على أنفسهم وما ينتظرهم من مصير؟!

سرعان ما يتوقف الجواهرى عن الاسترسال. يتدارك أمره قائلاً إن الخير جاء مع المؤسسة، ولو أن العمر امتد بصاحبها ورجلها الأول،